مجلة أبوليوس
المجلد 10 العدد 1 – جانفي 2023 الصفحات: 122- 136

النموذج العاملي في شعر هند بنت النعمان
The Actantial Model in Hind Bint al-Nu'mān Poetry

أ. مشارك د. سعيد محمود بايونس
جامعة أبين (اليمن)، uniabyan.bayonis@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/09 تاريخ القبول: 2023/01/28 تاريخ النشر: 2023/01/31

ملخص البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يسعى إلى سد ثغرة شحة الأبحاث العربية التي تطبق نظرية غريماس في النموذج العاملي، على الشعر العربي، من خلال تطبيق هذا النموذج على نصّ شعريّ جاهليّ مميَّز، من جهة كونه لشاعرة، هي هند بنت النعمان (الحُرَقَة)، وكونِه شعرًا قليلا، وكونِه شعرًا صاحَبَ واحدة من أهم المعارك في تاريخنا العربي قبل الإسلام، وهي معركة ذي قار.

وفي هذا الإطار، يحاول البحث أن يميط اللثام عن الفواعل، أو ما يصطلح عليه بالعوامل في السيميائيات السردية، أو النموذج العاملي، في شعر الحُرَقة، من خلال تحديد البنية الكلية للقص، واكتناه العلاقات التي تربط بين عناصرها المزدوجة.

ولتحقيق هدف البحث، قسم البحث على تمهيد موجز يبين الموضوع والمنهج، وصلب البحث الذي يتناول ماهية النص، ومراحله الثلاث (ما قبل، في أثناء، ما بعد)، وعلاقاته (الرغبة، الاتصال، الصراع). وختم البحث بخاتمة ترصد أهم النتائج مع شكل يلم أشتات هذه النتائج.

الكلمات المفتاحية: النموذج العاملي؛ غريماس، الحُرَقَة؛ الشعر الجاهلي.

Abstract:

This research is important as it seeks to fill the gap of the paucity of Arab research that applies Greimas' theory in the actantial model to Arabic poetry. By applying this model to a distinct pre-Islamic poetic text for it belongs to a female poet, Hind Bint al-Nu'man (al-Huraqa), and being a poetry that accompanied one of the most important battles in our pre-Islamic Arab history, the Battle of 'Dhi-Qar'. In this context, the research attempts to unveil the actors, or what is termed as factors in narrative semiotics, or the actantial model, in the poetry of 'al-Huraqa', through defining the overall structure of the story and the relationships that link its dual elements. To achieve this goal, the research was divided into a brief preface that reveals the topic and methodology, and the core of the research that deals with the nature of the text and its three stages (pre, while, post), and its relations (desire, communication, conflict). The article concluded with a number of results.

Keywords: Actantial model; Greimas; al-Huraqah; pre-Islamic poetry

* المؤلف المراسل

مقدمة:

قدم النقد الأدبي الحديث، واللساني منه خاصة، عددًا كبيرًا من النظريات وآليات العمل التي يمكن توظيفها في دراسة النص الأدبي؛ للخروج بنتائج جديدة وإضافة للمعرفة السابقة التي وصل بها النقد التقليدي إلى نقطة العقم تقريبًا.

وعلى الرغم من هذا الوافد النافع، لم تظهر الإفادة منه في نقدنا العربي بالمستوى الذي يوازي أهميته وتنوعه. ومن هذا الوافد نظريات غريماس السيميائية، ولا سيما المربع السيميائي والنموذج العاملي، الذي حظي باهتمام عربي، لكنه انصب على النصوص النثرية، مع صلاحية تطبيقه على الشعر.

وفي هذا البحث، نحاول أن نسد ثغرة شحة الأبحاث العربية التي تطبق نظرية غريماس في النموذج العاملي، على الشعر العربي، واخترنا لذلك نصًّا شعريًّا جاهليًّا مميَّزًا، من جهة كونه لشاعرة، هي حُرَقَة بنت النعمان، ومن جهة كونه شعرًا قليلا، ومن جهة كونه شعرًا صاحَبَ واحدة من أهم المعارك في تاريخنا العربي قبل الإسلام، إن لم تكن أهمها جميعًا، وهي معركة ذي قار.

ترك تطبيقُ نموذج غريماس العاملي على النثر أثرًا سلبيًّا لدينا، بأن هذا النموذج لا يصلح إلا للنثر، فانطلق البحث من فرضية إمكانية تطبيق نموذج غريماس العاملي على نص شعري، من جهة، ونص قديم من جهة أخرى؛ انطلاقًا من أن الشعر كالنثر يتضمن برنامجًا سرديًّا، كما أن النثر – في المقابل - يتضمن برنامجًا شعريًّا.

واعتمادًا على ذلك، يحاول هذا البحث أن يميط اللثام عن الفواعل، أو ما يصطلح عليه بالعوامل في السيميائيات السردية، أو النموذج العاملي، في شعر الحُرَقة هند بنت النعمان، من خلال تحديد البنية الكلية للقص، واكتناه العلاقات التي تربط بين عناصرها المزدوجة.

ولتحقيق هدف البحث، قسم البحث على تمهيد موجز يبين الموضوع والمنهج، وصلب البحث الذي يتناول ماهية النص، وتقطيعه إلى مراحل ثلاث (ما قبل، في أثناء، ما بعد)، وفي كل مرحلة يتم تناول العلاقات الثلاث (الرغبة، الاتصال، الصراع).

1- التمهيد:

1-1- الموضوع:

الحُرَقَة هي "حُرَقة بنت النُّعْمَان بن المنذر بن امرئ القيس، من بني لخم: شاعرة، من بيت الملك في قومها بالحيرة"[1]. كانت "إذا خرجت إلى بيعتها، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشي، ثم تقبل في جواريها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان لفها الزمان، فأنزلها من الرفعة إلى الذلة"[2]؛ لأن كسرى طلبها من أبيها النعمان لتكون زوجه، فأنف أن يزوجها من أعجمي، فغضب كسرى على أبيها النعمان، وطلبه للمجيء إليه، فلما وصل النعمان إلى كسرى، وبلغ كسرى أنه بالباب، ساقه إلى ساباط، وألقاه تحت أرجل الفيلة إلى أن مات[3]، فجند كسرى الجنود، وهربت الحرقة ملتجئة إلى بوادي العرب في خفاء. وأرسل كسرى صوائح في بلاد العرب، تنادي أن برئت الذمة ممن يحمي أو يؤوي الحرقة[4]، ثم أجارتها

الحجيجة، وهي صفية الشيبانية، وحارب قومها كسرى جموعًا كثيرة، وجاء يقودها بنفسه، فلما اشتد البأس في الوقعة الأخيرة بين العرب والعجم، وهي وقعة ذي قار، رأس القوم عمرو بن ثعلبة الشيباني (أخو صفية)، فسفرت الحرقة بين يديه، وأعطاها بنو شيبان ألف ناقة وكثيرًا من الهدايا الثمينة، وأكرموها غاية الإكرام، وقد تزوجت بعد ذلك المنذر بن الريان، أحد أبناء الملوك، وقد أسلم، وقتل بين يدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في وقعة أحد هو وحمزة رضي الله عنهما[5].

وقدم سعد بن أبي وقاص القادسية أميرًا عليها، فهزم الفرس وقتل رستم، فأتته حرقة بنت النعمان في لمة من نسائها، وعليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات، يطلبن صلته، فلما وقفن بين يديه قال: أيتكن حرقة؟ فقالت: ها أنا ذه. قال: أنت حرقة؟ قالت: نعم. وسألها الناس: ما صنع بك الأمير؟ فقالت:

إنما يكرم الكريم الكريم صان لي ذمتي وأكرم وجهي[6]

وقد عمّرت الحرقة إلى ما بعد ظهور الإسلام وفتح الحيرة من قبل خالد ابن الوليد. زارها المغيرة بن شعبة والحجاج. وقدرت وفاتها عام 74هـ[7].

2-1- المنهج:

قدم غريماس ما يسمى "النموذج العاملي" الذي به حدد البنية الكلية للقص، ويعدُّ أساسًا لـ "السيميائيات السردية". وتتجلى العوامل في الفواعل داخل النص و"هي أدوات مفاهيمية، تسهم في استيضاح مسارات ومسالك المعنى في الخطاب السردي"[8].

و يمثِّل النموذج العاملي الشكل الأولي للدلالة الذي يختصر السلوك الإنساني في ثلاثة أزواج متقابلة: الذات والموضوع، المرسل والمرسل إليه، المساعد والمعوق؛ ويشترك كل زوج بعلاقة على التوالي: رغبة، اتصال، دعم. ويتحدد هذا النموذج من خلال: ذات ترغب في امتلاك موضوع؛ تلبية لحاجةٍ (مرسل) ومن أجل غايةٍ (مرسل إليه)، وتصادف في طريقها من يمدُّ لها يد العون (مساعد) ومن يحاول منعها من الوصول إلى موضوعها (معوِّق)[9].

2- النموذج العاملي في شعر هند بنت النعمان:

2-1- ماهية النص:

المقطع: وهو الوحدة السردية العليا، ويتشكل من مجموعة من الجمل السردية؛ حيث يتكون المقطع التام من خمس جمل سردية، تبدأ بوصف وضعية هادئة تجعلها قوةٌ ما مضطربةً، وينتج عن ذلك حالة اضطراب ليعود التوازن بفعل قوة موجهة[10].

المقطع السردي، الذي هو موطن التحليل والدرس، عبارة عن مجموع قصائد الحرقة التي قالتها في ذي قار، وتشكل برامج سردية، وهي على النحو الآتي:

رقم النص	عدد الأبيات	البحر	الروي	المرسل إليه
الأول	5	الوافر	الراء	تحذير لبني بكر من كسرى
الثاني	19	الكامل	الدال	عتاب للعرب بسبب انخذالهم أمام كسرى

الثالث	6	الكامل	العين	لعمرو بن ثعلبة
الرابع	2	الطويل	اللام	الانتصار في ذي قار
الخامس	9	الطويل	الباء	لعمرو بن ثعلبة
السادس	19	الكامل	العين	تمدح الحجيجة (صفية الشيبانية)

عدد النصوص (6)، وعدد الأبيات (60) بيتًا. تتوزع على البحور الآتية:

البحر	الكامل	الطويل	الوافر
عدد الأبيات	44	11	5

2-2- تقطيع النص:

من المهم في هذه المرحلة التوفيق في تقطيع النص المدروس، لمعرفة الوحدات التي يتكون منها، التي تسهّل عملية التحليل ودراسة بنياته والربط بينها؛ لأن الوحدات عناصر خطابية، تقيم حدود الموضوعات المتفاعلة في النص.

يجب أن ينطلق التقطيع الخطابي من العناصر والمفاصل الرئيسة التي تصنع الأحداث والتحولات في إطار بنية النص الكلية؛ إذ إنها "وسيلة لإضاءة الخطاب، للوصول إلى تجلياته الدلالية، عن طريق الوصول إلى الوحدات الدلالية الجزئية، التي من خلالها تتكون الدلالة العامة للخطاب"[11].

من أجل تطويق المعنى وشكلنة الدلالة يجب تقطيع النص على وفق المعايير السيميائية الموضوعة سلفًا، انطلاقًا من البنية الخارجية (بنية التجلي). ومن المعايير السيميائية، المعيار المكاني، والمعيار الزمني، والمعيار السردي، والمعيار الفاعلي، والمعيار الأسلوبي، والمعيار البصري أوالطيبوغرافي، والمعيار الدلالي أو الموضوعاتي، ومعيار التشاكل السيميولوجي أو الدلالي[12].

ويعد المعيار الزمني أقرب المعايير لموضوع بحثنا؛ إذ "ينقسم إلى لحظات زمنية محورية: قبل – أثناء - بعد"[13]:

الأزمنة	المراحل
ما قبل	وضعية افتتاحية
في أثناء	اضطراب، تحول، حل
ما بعد	وضعية ختامية

مدار تحليلنا شعر هند بنت النعمان في مواجهة كسرى، ولكي تتم عملية الفهم علينا تقطيع النص على وفق الحالات التي حدثت فيها تحولات؛ لأن كل تحول يوّلد برنامجًا سرديًّا. وعطفًا على ما مضى، يمكننا القول إن خطاب شعر الحرقة يمثل مقطعًا سرديًّا يتكون من ثلاث مراحل زمنية، هي:

2-2-1 المرحلة الأولى (ما قبل):

تتجلى البنية العاملية الأولى (المطاردة والتشرد) ضمن الترسيم الآتي:

المرسل	الموضوع	المرسل إليه
المطاردة	الجوار	القبائل العربية

المساعد	الذات	المعارض
قيمة الجوار	هند بنت النعمان	تهديد كسرى
العنصر العربي		

وتتجلى العلاقات من خلال هذه البنية:

علاقة الرغبة:

تتمحور بين الذات والموضوع؛ حيث ترغب الذات هند بنت النعمان (الحرقة)، في تحقيق موضوعها القيمي المتمثل في (الجوار)، وإنصافها من ظلم كسرى، فيكون التحول الانفصالي على النحو الآتي:

الذات U الموضوع

لم يتحقق للذات موضوعها (الجوار)، رغم وضوح المرسل (المطاردة)، ورغم استعداد المرسل إليه (القبائل العربية)، لكن العامل المعارض (تهديد كسرى) كان أقوى من العامل المساعد.

علاقة الاتصال:

تتمظهر بين عاملي المرسل والمرسل إليه؛ حيث إن العرب تكره الظلم المتمثل في هوان هند ومطاردتها من قبل كسرى، ويميلون لنصرة المظلوم، فيكون التحول الانفصالي على النحو الآتي:

المرسل U المرسل إليه.

لم تتحقق علاقة الاتصال بين المرسل (الظلم الواقع على هند)، والمرسل إليه (القبائل العربية)؛ بسبب قوة العامل المعارض (تهديد كسرى).

علاقة الصراع:

يكون بين العامل المعارض والعامل المساعد، وقد اعتمدت الذات على العامل المساعد (قيمة الجوار) عند العرب بوصفه شيمة من شيم الإباء، وعلى أنها عربية، ولن ترضى العرب بهوانها وذلها، لكن العامل المعارض كان أقوى على القبائل العربية بسبب تهديد كسرى، ومصالح العرب معه، فلم يتحقق الموضوع (الجوار)، فنجد كسرى صاحب كفاءة وأهلية في إنجاز الفعل، ونجد هند وهي الذات الضديدة، غير قادرة على فعل شيء؛ إذ إن كسرى بيده (إرادة الفعل، ومعرفة الفعل، ووجوب الفعل، واستطاعة الفعل)، وظهرت كفاءة الذات (كسرى) وأهليته، في الحالة التي وصلت إليها الذات الضديدة (هند)، وتتمظهر في الاستطاعة على الفعل لدى كسرى، بقتل النعمان، وإزالة ملكه، وتشريد أهله. فيكون الملفوظ حالة انفصال، ويكون العامل المساعد أضعف من العامل المعارض، في بداية السرد:

العامل المساعد U العامل المعارض.

وقد أوصلت كفاءةُ كسرى الذاتَ إلى التحولات الآتية:

اليأس:

ظلت الحرقة بعد مقتل أبيها، تستنجد القبائل العربية، فلم تجد من يجيرها من كسرى؛ نتيجة لخوفهم من بطشه:

لم يبق في كل القبائل مطمع ... لي في الجوار فقتل نفسي أعوَدُ
ما كنت أحسب والحوادثُ جمةٌ ... أني أموت ولم يعدني العوَّدُ[14]

يتراءى اليأس جليًّا في هذين البيتين؛ إذ لا أمل لها في جوار، فكل القبائل لم تقبل بسبب الخوف من كسرى (لم يبق في كل القبائل مطمع)؛ لهذا فكرت في الانتحار (فقتل نفسي أعودُ)؛ وهي مرحلة تنم عن اليأس الذي وصلت إليه الذات المتكلمة. لم يكن في بالها رغم معرفتها بحوادث الدهر (ما كنت أحسب والحوادث جمة) أنها ستكون وحيدة بلا معين في مواجهة الحياة المهينة بعد ذاك العز (أني أموت ولم يعدني العود).

وقولها:

خاب الرجا، ذهب العزا، قل الوفا لا السهل سهل لا نجود أنجدُ
جمدت عيون الناس من عبراتها وقلوبهم صم صلاد جلمدُ
لا يرحمون يتيمة محزنة مقتولة الآباء نضواً تطردُ
تبغي الجوار فلا تجار وقبل ذا كان المنادي للجوار يسوّدُ [15]

يتجلى في هذه الأبيات انفصال العلاقة بين الذات والآخر، ويتجلى يأس الذات من الآخر من خلال التراكيب (خاب الرجاء، ذهب العزاء، قل الوفاء)، ولم تعد الأمور كما كانت (لا السهل سهل لا نجود أنجد)، فتصف الآخر مبينة التغيير الذي طرأ عليه بعد غضب كسرى على أبيها، والتغيير يتمثل في عيون لا تدمع (جمدت عيون الناس من عبراتها)، وقلوب لا تخشع (وقلوبهم صم صلاد جلمد)؛ مما ولد القسوة تجاه الذات (لا يرحمون يتيمة محزنة).

وتصل إلى مرحلة اليأس من الحياة:

لا ما أظن وللزمان بقية ووضيع قوم في الدنا لا ينجدُ
قومي تهي للممات فإنه أولى بذي حزن إذا لا يسعدُ[16]

تعود إلى الذاتي بعد اليأس من الموضوعي؛ فتحدّث نفسها بما رأته في واقعها المرير، يئست من الزمان (لا ما أظن وللزمان بقية)، ومن الإنسان (ووضيع قوم في الدنا لا ينجد)، فتطلب الموت حثيثًا (قومي تهي للممات)، ويلعب الطباق بين (حزن، وسعد)، دورًا في جلاء الحالين التي مرت بهما ويكشف النفي (لا يسعد) حالة اليأس التي وصلت لها.

الهوان:

تتنقل الحرقة بين قبائل العرب، مطاردة من قبل كسرى، الذي قتل أباها، ويريد الظفر بها:

حتى رأيت على جراية مولدي ملكا يزول وشمله يتبددُ
فدهيت بالنعمان أعظم دهية ورجعت من بعد السميذع أطردُ[17]

وقالت الحرقة بكاء على ملكهم:

فبينا نسوس الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصَّفُ
فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمُها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ [18]

تشكو حرقة بنت النعمان ما حل بهم، وتقارن ما كانوا عليه من السيادة، وما صاروا إليه؛ حيث أصبحوا سوقة عند قبائل العرب، فتتضجر من الدنيا التي لا يدوم نعيمها.

2-2-2 المرحلة الثانية (في أثناء):

وهي مرحلة زمنية، تنقسم على قسمين:

1) الجوار:

عانت الحرقة من ويلات التشرد والمطاردة، وخذلان القبائل إياها، حتى شارفت على اليأس، بل التفكير في الموت، لكن قيمة الجوار تجسدت في امرأة عربية فضلى هي صفية بنت ثعلبة الشيباني، وهذا تحول في البرنامج السردي، تشكلت فيه البنية العاملية (الجوار)، ضمن الترسيم الآتي:

المرسل	**الموضوع**	**المرسل إليه**
الظلم	الجوار	القبائل العربية
المساعد	**الذات**	**المعارض**
صفية	هند	تهديد كسرى
قيمة الجوار		

وهنا ينتج موقف تحولي اتصالي:

الذات ∩ الموضوع

وفي هذه المرحلة، ينتج اتصال الذات مع موضوعها، فتتمكن من الجوار، بعد أن كسرت صفية بنت ثعلبة الشيبانية حاجز الخوف من تهديد كسرى، وعلى ضوء ذلك تتشكل العلاقات على النحو الآتي:

علاقة الرغبة:

فالذات (هند) ترغب في موضوعها (الجوار).

علاقة الاتصال:

محفز (قتال كسرى) جعل كثيرًا من القبائل العربية ترعوي وتتخطى تهديد كسرى. فنجد تحولًا اتصاليًّا بحصول هند على الجوار من صفية بنت ثعلبة الشيباني، تحولت معه الذات من حالة الانفصال مع موضوعها، إلى حالة الاتصال:

الذات هند U الموضوع الجوار الذات هند ∩ الموضوع الجوار

حيث كانت مطاردة من قبل كسرى الذي هدد القبائل العربية بالويل لمن يجير هند بنت النعمان، لكن حصل التحول حين حصلت هند على الأمان من خلال الجوار الذي أطلقته صفية بنت ثعلبة متحدية تهديد كسرى:

المجدُ والشرفُ الجسيمُ الأرفعُ لصفيةٍ في قومها يتوقَّعُ
ذاتُ الحجاب لغير يوم كريهةٍ ولدى الهياج يحلُّ عنها البرقعُ
نطقاءُ لا لوصال خلٍّ نطقُها لا بل فصاحتها العوالي تسمعُ[19]

في هذا الدفقة الشعورية تجسيد للبنية الدلالية، التي عبرت عنها لوحة العوامل؛ ففرحة الجوار تتجلى في أبيات المدح للمجيرة (صفية)، فتنسب "المجد والشرف" للممدوحة (صفية)، وتحقق هذا الشرف من خلال الضدية الفنية التي جمعت وحدات دلالية لتكوين وحدة متناظرة هي (العفة والشجاعة)؛ فبرقعها المُرخى في السلم مرفوع في الحرب، وفصاحتها لا توظف في لحظات الضعف العاطفي (نطقاء لا لوصال خل نطقها)، بل في ساحات الوغى (بل فصاحتها العوالي تسمع).

وقولها:

لا أنسَ ليلةَ إذ نزلت بسُوحِها ... والقلب يخفق والنواظر تدمعُ
والنفس في غمرات حزن فادحٍ ... ولهى الفؤاد كئيبة أتفجعُ
مطرودة من بعد قتل أبوّتي ... ما إن أجار ولم يسعني المضجعُ
ويئست من جار يجير تكرمًا ... فتحل عن عيسي لديه الأنسعُ
وأتاني الراعي يحف قناعها ... فأُجِرْتُ واندملتْ هناك الأضلع[20]

تتذكر الحرقة مرحلة الإجارة لها (لا أنس ليلة إذ نزلت بسوحها)، بعد التشرد والمطاردة (والنفس في غمرات حزن فادح/ ولهى الفؤاد كئيبة أتفجع/ مطرودة من بعد قتل أبوتي/ ما إن أجار ولم يسعني المضجع)، ومرحلة اليأس (ويئست من جار يجير تكرمًا)، لكن الأمل جاء مع صفية التي أجارت (فأجرت واندملت هناك الأضلع).

كما أنها في مرحلة "في أثناء" قامت بإبلاغ بني بكر مجيرها؛ فبلغها - وهي في بني سنان - أن كسرى أرسل جندًا إلى بكر بن وائل، فأرسلت تنذرهم بهذه الأبيات:

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولاً ... فقد جدَّ النفير بعنقفيرِ
فليت الجيشَ كلَّهمُ فداكم ... ونفسي والسريرَ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بهم إليكم ... معلقةُ الذوائب بالعبورِ
فلو أني أطقت لذاك دفعًا ... إذًا لدفعتُه بدمي وزَيري[21]

تصف الحرقة لبني بكر تحركات العدو نحوهم (فقد جد النفير بعنقفير)، فتتمنى لهم الفوز (فليت الجيش كلهم فداكم)، بل تفديهم بنفسها (ونفسي والسرير وذا السرير)، وتشبه خوفها وقلقها في مشهد حسي (معلقة الذوائب بالعبور).

2) التعبئة للمعركة الحاسمة:

هذا الجوار المتحدي لرغبة كسرى، له عواقب وخيمة يعلمها الجميع، فكان لا بد من الاستعداد له من خلال التعبئة للمعركة، ورفع معنويات المقاتلين:

وتواردوا حوض المنية دون أن ... تسبى خفيرة أختم واستجمعوا
وألح كسرى بالجنود عليهمُ ... وطميحُ يُردف بالسيوف ويدفعُ
كم زادهم من غارة ملمومة ... بالقُبِّ تعطبُ والأسنة تلمعُ
وهمُ عليه واردون بطرفهم ... والنصرُ تحت لوائهم يترعرعُ[22]

لعبت الاستعارة (وتواردوا حوض المنية) دورًا في جلاء شجاعة القوم؛ إذ جعلت المنية مثل حوض الماء الذي تتوارد عليه الناس لتشرب، وعززتها الكناية (دون أن تسبى خفيرة)؛ فعدم وصول جيش كسرى إلى خدور النساء يعني أنهم ما زالوا أبطال المعركة رغم إلحاح كسرى عليهم بالجيوش (وألح كسرى بالجنود عليهم)، فالقوة تقابلها قوة مضادة (وطميح يردف بالسيوف ويدفع)، وهذا ما جعل النصر قريبًا (والنصر تحت لوائهم يترعرع).

البنية العاملية الثانية (التعبئة للمعركة)، وتتشكل ضمن الترسيم الآتي:

المرسل	**الموضوع**	**المرسل إليه**
قتال كسرى	التعبئة للمعركة	القبائل العربية
المساعد	**الذات**	**المعارض**
ظلم كسرى	هند	المصالح مع كسرى
النخوة القومية		الخيانة
ضدية العجم		

وهنا ينتج موقف تحولي اتصالي:

الذات ∩ الموضوع

وفي البنية الثانية تحاول الذات – بعد تمكين الجوار – التعبئة القومية للقبائل العربية لمواجهة القوة العالمية (الفرس)؛ إذ لا قِبلَ لشيبان بهذه القوة، ولا بد من توحد القوة العربية لتحقيق الموضوع القيمي (المعركة). وعلى ضوء ذلك تتشكل العلاقات على النحو الآتي:

علاقة الرغبة:

فالذات (هند) ترغب في موضوعها (التعبئة)؛ لردع الظلم، وكسر شوكة الفرس، واستعادة الهيبة والإباء للقوة العربية.

علاقة الاتصال:

محفز (قتال كسرى) جعل كثيرًا من القبائل العربية ترعوي وتتخطى تهديد كسرى. فنجد تحولًا اتصاليًّا بحصول هند على الجوار من صفية بنت ثعلبة الشيباني، فتحولت الذات من حالة الانفصال مع موضوعها إلى حالة الاتصال:

الذات هند U الموضوع الأمان الذات هند ∩ الموضوع الأمان

كانت الحرقة مطاردة من قبل كسرى الذي هدد القبائل العربية بالويل لمن يجير هند بنت النعمان، لكن حصل التحول حين حصلت هند على الأمان من خلال الجوار الذي أطلقته صفية بنت ثعلبة متحدية تهديد كسرى، فكان إيعازًا قويًّا ودافعًا لها لتحقيق موضوع الأمان:

وتحيروا فشفت صفية مفخرًا ودعت قبائلَ شرُّها لا يقلعُ
منها شهابٌ معْ ظليمَ وشعثمٍ وجدابة في حرّها يتلفعُ

آجامُها فيها الصوارمُ والقنا والسابرية والوشيجُ الشرَّعُ
فرأيت عند الخيل فيها شعثمًا مثلَ الحمام إلى الموارد يقلعُ
وجدابة كالفحل يضرب أينقًا وشهاب يضرب بالحسام ويوجعُ[23]

تُثني الحرقة على فعل صفية بنت ثعلبة؛ لجمعها قبائل العرب بعد أن قبلت جوارها. فلما اشتد البأس في الوقعة الأخيرة بين العرب والعجم، وهي وقعة ذي قار، رأس القوم عمرو بن ثعلبة الشيباني (أخو صفية) فسفرت الحرقة بين يديه، وقالت توصيه:

حافظْ على الحسب النفيس الأرفعِ بمدججين مع الرماح الشرَّعِ
وصوارم هندية مصقولة بسواعدٍ موصولة لم تُمْنَعِ
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبق عاديةٍ بكل سميذعِ
واليوم يومُ الفصل منك ومنهمُ فاصبرْ لكل شديدة لم تدفعِ
يا عمرو يا عمرو الكفاحَ لدى الوغى يا ليثَ غاب في اجتماع المجمعِ
أظهر وفاء يا فتى وعزيمةً أتُضيع مجدًا كان غير مضيَّعِ؟[24]

علاقة الصراع:

في الثنائية الضدية (المساعد/ المعارض)، يتجلى صراع بين قيم مساعدة نبيلة (الظلم/ العروبة/ ضد العجمية)، مع بعض القيم الرذيلة (الخيانة) من قبائل عربية نتيجة المصالح المادية والرتب القيادية في جيش كسرى.

نجد تحولا اتصاليًّا في ملفوظ الحالة عند هند بسبب محفز (الأمان)، وموقف القبائل العربية التي بدأت تستجيب لها؛ فقد كان لقبائل العرب وأشرافهم دور بارز في التخطيط للمعركة، ولا سيما أن ملكهم العربي النعمان قد نال كسرى منه، فلا بد من التوحد ضد هذه القوة؛ استشعارًا للنخوة العربية والشيم الراسخة، وقد قال كل حكيم رأيه لضمان الانتصار في المعركة، ومنها نصيحة يزيد السكوني بضرورة المباغتة، وربيعة بن غزالة الذي نصح بالقتال على شكل كراديس مفرقة لا جيش تام، وأجمعت الآراء على اختيار موقع المعركة، وعقد التحالفات، وطريقة القتال[25].

فملكت هند (إرادة الفعل، ومعرفة الفعل، ووجوب الفعل، واستطاعة الفعل)، وظهرت كفاءة هند في إقناع القبائل لمواجهة كسرى، معتمدة على العامل المساعد المعنوي (كره الظلم، الجوار، القومية العربية، ضدية العجم)؛ للتغلب على المصالح المادية التي كبل بها كسرى القبائل العربية، والتقلب النفسي على الخوف منه بسبب القوة والكثرة:

حتى غدا الفرسيُّ في أجناده والقومُ جرحى والمذاكي ظُلَّعُ
فهناك أرجفت البلادُ ومن بها الأحياءُ من يَمَنٍ ومن يترَبَّعُ[26]

وكان العامل المعارض كذلك يفعل فعله، من خلال خيانة بعض القبائل العربية؛ فقد عقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد، فكانت العرب ثلاثة

آلاف، وعقد للهامرز على ألف من أفضل مقاتلي الفرس (الأساورة)، وعقد لخنابرين على ألف من الأساورة[27].

3-2-2 المرحلة الثالثة (ما بعد):

البنية العاملية الثالثة (الانتصار)، وتتشكل ضمن الترسيم الآتي:

المرسل	الموضوع	المرسل إليه
السيادة	الانتصار	القبائل العربية
المساعد	**الذات**	**المعارض**
تجمُّع العرب	هند	لا يوجد
النخوة القومية		
ضدية العجم		

تشي البنية الثالثة بتحول اتصالي لم يتحقق في البنيتين الأولى والثانية:

الذات ∩ الموضوع

يتحقق الانتصار الذي تتطلبه الذات، وعلى ضوء ذلك تتشكل العلاقات على النحو الآتي:

علاقة الرغبة:

تتحقق رغبة الذات بانتصارها الساحق على القوة الظالمة:

رَغَمْنا بعمرٍو أنفَ كسرى وجندِه ... وما كان مرغومًا بكل القبائلِ
وهذا قصارى الأمر فاحملْ محسرًا ... لكُمَّيْك ما بين الظُّبا والذوابلِ[28]

يرسم النص هزيمة كسرى من خلال تواشج الاستعارة والكناية (رغمنا بعمرو أنف كسرى وجنده)، وهذا أمر يعد من المستحيلات (وما كان مرغومًا بكل القبائل). ويمكننا استشفاف "الانتصار" من خلال قولها "هذا قصارى الأمر".

وقالت أيضًا:

حمتني بنو شيبانَ والحيُّ تغلبٌ ... بقبِّ المذاكي والسيوف القواضبِ
نجوت بعمرو من مطامعِ كيسرٍ ... وعدوٍ شهابٍ يوم رَوْع المقانبِ
ولله مولاهم جدابةُ نِعْمَ ما ... يدبّرُ في كل الأمور اللوازبِ
بأسمرَ عسَّالٍ وأبيضَ قاطعٍ ... وأكمتَ ورديٍّ وعينٍ مراقبِ
وكم فَرَجٍ منه علينا بغارة ... وكم حملةٍ يوم التقاء الكتائبِ[29]

علاقة الاتصال:

اتصل المرسل (السيادة) وتحقق للمرسل إليه (العرب):

حافظْ على الحسب النفيس الأرفع ... بمدججين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة ... بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة ... بالسبق عادية بكل سميذع[30]

فالسيادة (الحسب النفيس الأرفع) لا يمكن المحافظة عليها إلا بالقوة الحامية لها؛ الرماح (بمدججين مع الرماح الشرع)، والسيوف (صوارم هندية مصقولة)، والرجال (بسواعد موصولة لم تمنع)، والخيل (وسلاهب من خيلكم).

علاقة الصراع:

اختفت عوامل الصراع بهذا الانتصار، فانتفى المعارض الذي كان يعوق الموضوع:

حمتني بنو شيبان والحي تغلب بقب المذاكي والسيوف القواضب[31]

خاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية في شعر الحُرَقة، في ظل نظرية النموذج العاملي لغريماس، وجدنا أن هذا الشعر يتضمن مقطعًا سرديًّا يتكون من ثلاث مراحل زمنية، هي:

1- **المرحلة الأولى (ما قبل)** تتجلى في البنية العاملية الأولى (المطاردة والتشرد)، وفي علاقات **الرغبة** (لم تتحقق الرغبة بسبب العامل المعارض (تهديد كسرى))، **والاتصال** (لم يتحقق الاتصال بسبب قوة العامل المعارض (تهديد كسرى))، **والصراع** (**أوصلت** كفاءةُ كسرى الذاتَ إلى التحولات الآتية: **اليأس، والهوان**).

2- **المرحلة الثانية (في أثناء):** وهي مرحلة زمنية تنقسم على قسمين، **الجوار ومرحلة التعبئة للمعركة الحاسمة**، **وفيها** تحاول الذات التعبئة القومية للقبائل العربية لمواجهة الفرس، وعلى ضوء ذلك تتشكل العلاقات على النحو الآتي: **علاقة الرغبة** (**حيث** الذات ترغب في موضوعها (التعبئة) لردع الظلم وكسر شوكة الفرس واستعادة الهيبة والإباء للقوة العربية)، **وعلاقة الاتصال** (نجد تحولًا اتصاليًّا بحصول الحرقة على الجوار ما أدى إلى تحول الذات من حالة الانفصال مع موضوعها إلى حالة الاتصال)، **وعلاقة الصراع** (نجد تحولًا اتصاليًّا في ملفوظ الحالة عند هند بسبب محفز (الأمان)، وموقف القبائل العربية التي بدأت تستجيب لها).

3- **المرحلة الثالثة (ما بعد):** تتجلى في البنية العاملية (الانتصار)، وتشي بتحول اتصالي لم يتحقق في البنيتين الأولى والثانية؛ حيث يتحقق الانتصار الذي تتطلبه الذات، وعلى ضوء ذلك تتشكل علاقات: **الرغبة التي** تتحقق بانتصارها الساحق على القوة الظالمة، **والاتصال بين** المرسل (السيادة) والمرسل إليه (العرب)، **والصراع الذي** اختفت عوامله بهذا الانتصار.

وتشكلت من مجموع هذه البنى الثلاث، بنية عامة تجمع البرامج السردية الواردة في شعرها، فتكون الترسيمة العاملية على النحو الآتي:

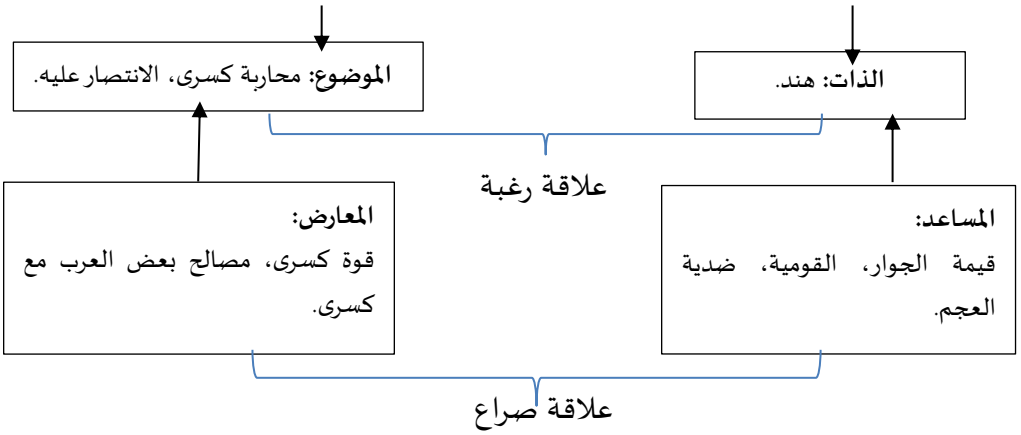

ويوصي البحث بأن يقوم الباحثون بتطبيق النموذج العاملي لغريماس، على نصوص من شعر ما قبل الإسلام؛ للكشف عن البنى الدلالية الأساسيَّة المهيمنة في أدب ذلك العصر، ومن ثم مقارنته بنتائج دراسات مناظرة في العصور التالية.

الهوامش والإحالات:

[1]) خير الدين الزركلي (2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، ١٧٣/٢.

[2]) جواد علي (٢٠٠١م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، بيروت، ٢٨٧/٥.

[3]) أبو البقاء الحلي (2000م)، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد، الإمارات، (2/ 402).

[4]) زينب بنت علي بن حسين العاملي (1312هـ)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، مصر، 534/1.

[5]) بشير يموت (1934م)، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، ط1، بيروت، ص21.

[6]) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى (١٩٨٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، ص٢٠٧.

[7]) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، 1/ 535.

[8]) أ. ج. غريماس (2018م)، سيميائيات السرد، ترجمة وتقديم: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، ص21.

[9]) سالم عبد الرب السلفي (2019م)، النقد الأدبي الحديث (تاريخ موجز)، مركز الرسالة، ط1، عدن، ص96.

[10]) تزفيتان تودوروف (1987م)، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، ص165.

[11]) عبد المجيد نوسي (2002م)، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة المدارس، ط1، الدار البيضاء، ص14.

[12]) ينظر: جميل حمداوي (2015م)، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مؤسسة المثقف العربي، ط1، ص79 - 80.

[13]) ينظر: المرجع نفسه، ص79.

[14]) بشير يموت، شاعرات العرب، ص21.

[15]) المرجع نفسه، ص22.

[16]) المرجع نفسه، ص22.

[17]) المرجع نفسه، ص21.

[18]) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (د. ت)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، ط2، بيروت، 118/2.

[19]) بشير يموت، شاعرات العرب، ص24.

[20]) المرجع نفسه، ص24.

[21]) الأصفهاني، الأغاني، 97/2.

[22]) بشير يموت، شاعرات العرب، ص24.

[23]) المرجع نفسه، ص25.

[24]) المرجع نفسه، ص24.

[25]) ينظر: أبو عبيدة محمد بن المثنى (2003م)، أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق: عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 72/2.

[26]) بشير يموت، شاعرات العرب، ص25.

[27]) ابن رشيق القيرواني (2004م)، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، د. ط، بيروت 228/2.

[28]) بشير يموت، شاعرات العرب، ص23.

[29]) المرجع نفسه، ص24.

[30]) المرجع نفسه، ص23.

[31]) المرجع نفسه، ص24.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن رشيق القيرواني (2004م)، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، د. ط، بيروت.
- أبو البقاء الحلي (2000م)، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد، الإمارات.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى (١٩٨٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت.
- أبو عبيدة محمد بن المثنى (2003م)، أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق: عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، ط1، بيروت.
- أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (د. ت)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، ط2، بيروت.
- أ. ج. غريماس (2018م)، سيميائيات السرد، ترجمة وتقديم: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء.
- بشير يموت (1934م)، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، ط1، بيروت.
- تزفيتان تودوروف (1987م)، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء.

- جميل حمداوي (2015م)، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مؤسسة المثقف العربي، ط1، د. م.
- جواد علي (٢٠٠١م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، بيروت.
- خير الدين الزركلي (2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت.
- زينب بنت علي بن حسين العاملي (1312ه)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، مصر.
- سالم عبد الرب السلفي (2019م)، النقد الأدبي الحديث (تاريخ موجز)، مركز الرسالة، ط1، عدن.
- عبد المجيد نوسي (2002م)، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة المدارس، ط1، الدار البيضاء.